

الْحَمْدُ

١٣١٥

عشر عبادي الذين يستمرون القول فيليبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يقول الحكمة من بناء ومن يوت الحكمة قد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و د منارا ، كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ هـ ق ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

فاتحة السنة السابعة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩:٢٧) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ،
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣٥:٤٥) فَاللَّهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْمَالِكِينَ ٣٦ وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزیز الحكيم) فنعمه بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه
ورسله ، وصنفوته من بني آدم الذين فضلمهم على كثير من خلقه ، محمد

النبي الامي ، العربي الحجازي ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأتم به نعمته في الدنيا والدين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المهادين المهديين ، والتابعين لهم في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين .

وبعد فاننا نذكر قراءة الفتار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناهم به في السنين الخالية ، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزمت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، - الإفراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات ، والانهمالك في الفواحش والمنكرات ، والمحافظة على البدع وسيئ العادات ، - والتفريط في حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة ، ومجاراته الام بما يستطيع من حول وقوة ، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة ، وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة . ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر ، وهاتيك المواظ والنذر ، وبما يفتنون به في كل عام ، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام ، ويبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمسرفين ، (٤:٦) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين (١٠:١٠) قل انظروا ماذا في السموات والارض ، وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون^(١) ١٠٢ - فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين) سبحان الله ان من العقلاء من يتعظ بالعبارة ، ومنهم من يكتفي بما توحى اليه الاشارة ، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال ، ما يستمدون به لما ينتظر في الاستقبال ، ولو على سبيل الفرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواظ

وان الام أشد من الافراد احتياطا ، وأخفى حيلة وأدق استنباطا ،
وأوسع في المستقبل آمالا ، وأكثر استمداداً له وأعمالا ، لانها أطول
أعماراً ، وأشد قوة واقتماداً ، وأكثر أعوانا وأنصاراً ، فما بال أمتنا
لا تمظ بكلام الله ولا بكلام البشر ، ولا تعتبر بما تشاهده من الأحداث
والعبر ، وكما أنذرها الله بطشته تمارى بالندُر ؟ (٤٥ : ٤٤) ولقد جاءهم من
الانبياء ما فيه مَزَجْرٌ - ٥ - حكمةٌ بالغة فما تعني النُدُر * - ٢١ : ٤٥ - قل إنما
أُنذركم بالوحي ولا يسمعُ الصمُّ الدعاء إذا ما يُنذرون

تركت هذه الامة هداية القرآن ، فقأتها ما كانت نالت به من
الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والبسطة في العمران ، وأمست غافلة
عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان ، بل أتى عليها أحقاب من الزمان ،
لا تشعر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر
دنياها ، قبل الشعور بما كان سبباً له من فساد أمر دينها ، وبما خسرت
من سلطانها وأملاكها ، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكتها ،
ولما شمعت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن علمها الروحية
وأسبابها المعنوية ، شرعت في شيء من الاصلاح الصوري ، بدون أن
تؤيده بروح الاصلاح المعنوي ، فعُد السلطان محمود مصاحبا بتغيير الزي
الرسمي ونظام الجندي ، والسلطان عبد الحميد مصاحبا باعلان التنظيمات
الخيرية ، والسلطان عبد الحميد مصاحبا بإنشاء نظارة المدلية ، ومصطفى
رشيد باشا مصاحبا بادخال الدولة العثمانية في سلك الدول الاوربية ، ومدحت
باشا وأعوانه مصالحين باقتباس القوانين الغربية الغربية ، ومحمد علي
باشا وأحفاده مصالحين بفرجة البلاد المصرية ، والامير عبد الرحمن

خلن مصالحا بالتأليف بين القبائل الافغانية. ولم تتوجه همة أحد الى إصلاح الاخلاق والمادات، وازالة البدع والمنكرات، وجمع الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات، فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصوري الاضروبا من الفساد، ولا أفاد الدولة الا إضعاف الاستقلال وإضاعة البلاد، (٤٤:٢١) بل متمنًا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر، أفلا يرون أننا نأتي الارض ننتقصها من أطرافها؟ أفهم الغالبون؟

لا أقول ان جميع ما قام به أولئك الرجال لم يكن مطلوباً، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتياً، بل أقول ان أكثره كان ضرورياً، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الامة من طيب اجتماعي، عرف من أمراضها الظاهري والباطني، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة، ويحفظ البنية ويقوي المنة، لذلك رأيناها بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضاً، حتى كادت تكون حرصاً، ازدادت ذلاً وفقراً، وتفرقاً وضعفاً، وفساداً في الاخلاق، واسرافاً في النفاق، وكان ما أدخل فيها من علوم الامم القوية وقوانينها وآدابها، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها، بل كان تقليداً صورياً، أو عارضاً وقتياً، فنه ما كان ضاراً ومنه ما كان نافعاً، فأما الضار فأكثر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية، التي قطعت كثيراً من روابط الامة المليية، وأزالت ما أزالت من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والادبية، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الامم الأوربية، بل صارت عيالاً عليهم في جميع الشؤون، حتى انتهى ذلك الى هذا القتون، بأن فقدت الاستقلال، باسم النفوذ أو الحماية أو

الاختلال ، (١٢:٩٦) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
 ١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ١٣٢ وليكل
 درجات مما عملوا وما ربك بعاقل عما يعملون)

وأما ما كان نافعا من تلك الاعمال ، التي وسمت بسمه الاصلاح ،
 فانما كان نفعه موضعيا ، وعارضا لادائما ، فكان كداواة بعض أعراض
 الزهري (الداء الافرنجى) الظاهرة بما يزيلها ، مع بقاء العلة في الباطن
 (كتسمم الدم) تصدر عنها آثارها ، فما زال منه بالمعالجة الموضعية اليوم ،
 يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الغد * كلما داويت جرحا سال
 جرح * ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية ، وهي اكبر مظاهر السلطة
 في الامة الاسلامية ، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن ، من جمع
 كلمة قبائل الافغان ، وتدريبها على القتال ، الذي يحفظ به الاستقلال ،
 وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر ، فانه بنى ركني الثروة والقوة على
 أساس العلم ، ولو اتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب ،
 على أساس الدين وسنن الاجتماع ، ثم لهم تكوين الأمة ، ولاستقام لهم
 بالامة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الامم والشعوب ، لاعصر الامراء
 والملوك ، ولكن جميع أقبال المسامين ، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين ،
 (٣٥ : ٤٤) أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
 قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ؟ ٤٠ : ٤١ - أولم يسيروا في الارض فينظروا
 كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في
 الارض فأخدمهم الله بذنوبهم * - ٣٠ : ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا
 كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض

وتعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

نعم انهم لم يسيروا في الارض ، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون ، فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائة ، ومصير الدول المستبدة الظلمة ، وحسن عاقبة الامم العاملة العاملة ، وسيادة الدول المنظمة العادلة ، وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور ، لا يعني عن اصلاح الاخلاق وارتقاء الجمهور ، ولو ساروا لما نظروا ، ولو نظروا لما أبصروا ، ولو أبصروا لما اعتبروا ، (٤٦:٢٢) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعنى الابصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) وأي عمى أشد من عمى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وفساد ، حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويزيل عاطفة الابوة والبنوة ، فيغري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ، وكيف يؤمن على حياة أمته ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها ورشادها ، ممن لاحظ لهم من حياتهم الا استدلالها واستمبارها ، اتباعا لترفهم ونعيمهم ، وافتنانا باطرائهم وتعظيمهم ، يشبه طلب العلم من الجاهلين ، والتماس الهدى من الضالين ، (١١ : ١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقیة ینهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ١١٨ وما كان ربك ايهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح، ولا إصلاح للدولة، الا بصالح الأمة، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم، يأصرون بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض، ولا تأثير للأمر والنهي، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي، ولا يفيد الأحكام والإجماع، الا مع مراعاة سنن الاجتماع، لا اختلاف استعداد الأقسام، باختلاف احوال الزمان والمكان، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية، فحظ الافراد الكثيرين من معنى الامة، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ، الا على سبيل التجوز في القول، كما يطابق اسم الشيء على صورة الشيء، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية، وبالشركات أمورها المادية، كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها، وتقيمها على صراط شريعته، لهذا كان هنا منذ سنة المنار الاولى، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المثلى، اهتداء بقوله تعالى (٩:٨٧) فَذَكَرْ اِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ١٠ سَيَذَكُرُ مِنْ بَاطِنِ (تَنْحَثَى) وليس بعد اقامة حجة الله في الوري، الا فلاح من اتبع الهدى، وهلاك من آثر الهوى (٢٢:٤٥) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشَاوَةً، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١

ألا وان أمر التربية والتعليم هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات، لان المدارس للافراد دكا كين لكسب المال، والحكومات معامل اسبك العمال، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالاً لها كآلات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سنانها ويسيروا على طريقها ، وانما يربح تجارتهم برواج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جاهلير المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الي خصومهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأني تصلح أمة تركت تجديداتها وتكوينها ، الي من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها ??? كلا! انها كربة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (١٧٨:٧) ولقد ذرأنا لجهنم كغيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالآنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)

الام تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا الربون - الافرنج والمترنجون - وترتقي بالعلم ونحن قد دلأنا العلماء المقلدون المقتونون ، وتقوى وتمتد يجمع المدارس لكلمتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكنائس ، قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية ، وقتنتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الي المدارس الاميرية والاهلية ، فالتخرجون فيها أقلمهم الذين يسلمون ، ومنهم الملعدون وأكثرهم الفاسقون ، يجرفون روة الأمة الي الاجانب ، ويقذفونها بالفجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتغلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحقرون لها سلفها ، ويعظمون

في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المليئة ، ويزنون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الاجانب على ادارة امر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم ، او الجيش السلمي لشكناهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولا أجل هذا ربوهم هذه التربية البدنية ، وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلام صاروا بها اوريين ، ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ، ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون أنهم المصلحون لشأنها ، (١٠ : ٢) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ١١ الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) هكذا ذفف على جرح هذه الامة من جملوا انفسهم أساة لها وأطباء ، فكان اقل أدواتها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليتدبر ما تقوله فيهم كتب الافرنج وصحفهم الشبية^(١) ومن اهمه ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا

نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية

على أن معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوريون كان لها تأثير في حل

المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول

أوربية كلها » !! فاذا لم يكن للمسلمين مدارس مليية ، تديرها حكومة أو

جماعات اسلامية ، فتربيهم على ما يجمعون به مصالحهم الدينية والدينية ، واذا

(١) ومنها ما كتبه لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرجين

كانوا لا يعرفون للتعليم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخيلون من المنافع
 الخسيسة المادية ، فان اوربة تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم
 خلقا جديدا ، يكونون بها على توهج الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون
 من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا
 اين ينتهون ، (١٦ : ٢١ أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيا ن يبشرون *
 ٣ : ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً
 ودثوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ،
 قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

ألا اتانا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما تتوقف عليه
 من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم
 وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه
 وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانها اللغة والدين والشريعة
 والآداب^(١) فمن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقد جزءا من نفسه ،
 لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن
 عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف
 ترقى لغتنا كما رفقوا لغاتهم ، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف
 نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم ،
 ولنا ان نستعين على ما نستمدده منهم ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

(١) هذا التقسيم بحسب عرف العصر . والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد
 بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب . وهي موضع اجتهاد
 أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية متبعا للدين وهي اعلى من
 آداب الافرنج وأكمل

رجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ،
وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار
بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضالتنا ، واعتقاد انها حيث
وجدت فنحن أحق بها ، (٢٤:٨) يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
اذا دعاكم الى يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تُحشرون
٢٥ واتقوا فِتْنَةً لا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، واعلموا ان الله
شديد العقاب ٢٦ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض
تخافون ان يَحْطَفَكُمُ النَّاسُ فَاَوَاكُمُ وَيُؤَيِّدُكُمْ بِنَصْرِهِ وَرِزْقِهِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا
أماناتكم وانتم تعلمون *

الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المقاتب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد
الهمزة اللدزة ، بالويل الشديد والحطمة ، فنحن نذكر كل من يطالع على منارنا هذا
بأمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده ، وندعو من رأى فيه خطأ ان يذكرنا به قولاً
أو كتابة ، مينا ذلك بالدليل والبرهان ، لا يقول فلان ورأى فلان ، مع أدب العبارة ،
والا كتماء منها بقدر الحاجة ، ونحن ننشر ان شاء الله تعالى كل ما يكتب الينا ،
سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ما شرطنا ، ثم نبين ما عندنا فيه من قبول
وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا
ولا يكتب الينا فهو لا ثقة بعلمه ولا بدينه ولا بما يقواه فينا ، وانه حاسد مقتاب ، أو مدّع
كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سر يع الحساب منشى المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني